

## البناء السيري ذاتي وسرد الحياة الشخصية في رواية "ذاكرة الماء محنة الجنون العاري" لـ"واسيني الأعرج"

Autobiographical construction and narration of personal life in the novel "Water memory - the ordeal of naked madness-" by "Wassini Al-Araj"

شعيب مرواني، جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي تبسة، (الجزائر)،

[chouaib.merouani@univ-tebessa.dz](mailto:chouaib.merouani@univ-tebessa.dz)

تاريخ قبول المقال: 21-05-2023

تاريخ إرسال المقال: 06-01-2023

### الملخص:

تطرح الرواية والسيرة الذاتية بوصفهما جنسين سرديين قضية مرونة الحد الفاصل بينهما وبين بقية الأنواع، لقدرتهما على امتصاص الخطابات الأخرى (أدبية/ لأدبية) وإعادة إنتاجها، فانفتاح الخطاب السيري-ذاتي على الروائي جعل من السيرة الذاتية تستفيد من تقنيات الكتابة الروائية، وجعل من الرواية تستفيد من مادة السيرة الذاتية، وهذا ما أنتج خطابا هجينا يتوفر على خصائص النوعين، لذلك جاءت دراستنا لتعالج قضية التعالق بين نوع الرواية والسيرة الذاتية، والفصل في هوية النوع الهجين المتولد عنهما وذلك عن طريق مقارنة رواية "ذاكرة الماء محنة الجنون العاري"، للأديب الجزائري "واسيني الأعرج"، لرصد نقاط التقاطع بين النوعين (الرواية/السيرة الذاتية)، ودراسة العناصر التركيبية المؤلفة لهذا العمل الأدبي وتحليلها.

**الكلمات المفتاحية:** الرواية، السيرة الذاتية، الرواية السيري ذاتية، السيرة الذاتية الروائية.

### Abstract:

The novel and the autobiography, as two narrative genders, raise the issue of boundary flexibility separating them and the rest of the genres, for their ability to absorb and reproduce other discourses (literary / non-literary), Where the openness of the autobiographical discourse to the novelist one, made the autobiography take the benefit concerning the techniques of fiction writing at the same way the novel benefits from the autobiographical material, and this produced a hybrid discourse that has the characteristics of both types. Thus, our study came to address the issue of the correlation between the genre of the novel and the autobiography, and the separation of the identity of the hybrid genre generated by them, through the approaching of the novel "Water memory: the plight of the naked madness" by the Algerian writer "Waciny Al-Araj", to observe the points of intersection between these two genres (the novel/ autobiography), and to study and analyze the compositional elements of this literary work.

**Key words :** novel, autobiography, autobiographical novel, autobiography of the novelist.

## مقدمة:

يثير نوع "الرواية" العديد من الإشكالات منذ نشأته وظهوره ونضجه وتحوّله لنوع أدبي معترف به في مؤسسة الأنواع الأدبية، ولا تقل "السيرة الذاتية" -إذا ما سلمنا مبدئياً بأنها نوع أدبي- عنه في القضايا والإشكالات التي يثيرها؛ ذلك أنها ظهرت بعد الرواية واستفادت منها لتجد لنفسها الشكل المناسب، ولتدخل معركة افتكاك مكانة لها أيضاً، ولأن كل من الرواية والسيرة الذاتية ينتميان لجنس السرد فإن هناك العديد من النقاط المشتركة التي تجمع بينهما ( البناء السري لكل منهما يقتضي وجود شخصيات وزمان ومكان)، لكنهما رغم هذا يتمايزان ويختلفان في طبيعتهما وماهيتهما، فالرواية تعتمد التخيل، وتسعى السيرة الذاتية إلى مطابقة الواقع من أجل إضفاء المصداقية على خطابها الاسترجاعي، ولا تعباً الرواية كثيراً بالمطابقة وإن كانت توهم بها، تتحول نقطة التمايز هذه إلى نقطة تماس عندما تتحول مطابقة السيرة الذاتية للواقع إلى نوع من تخيل الذاكرة، ويصبح تخيل الرواية شيئاً يشبه الواقع ويكاد يطابقه، هذا التشابك بين النوعين يربك القارئ فتجده عند قراءته للرواية ينحو نحو المطابقة ويطلق أحكاماً من قبيل أن بطل الرواية هو مؤلفها، وأن هذا الحدث حدث حقيقي وقع مع المؤلف وذكره في روايته...، في حين ينقلب الأمر في السيرة الذاتية فنجد أحكاماً من قبيل أن هذا الأمر من نسج خيال المؤلف أضافه لصبغ عمله بنوع من شرعية الواقع لا غير...

وفق هذا التصور المطروح جاءت دراستنا لتعالج قضية التعالق بين نوع الرواية ونوع السيرة الذاتية منطلقاً من إشكالية أساسية كالتالي: ما طبيعة النوع الأدبي المتوقع بين هذين النوعين؟ هل هو نوع تابع أي أن تصنيفه يكون ضمن أحد النوعين إما رواية وإما سيرة ذاتية دون التدقيق كثيراً في قضية التعالق المربكة؟ أم أنه نوع يشق لنفسه طريقاً خاصاً مستفيداً من خصائص النوعين المختلفة في محاولة لخلق طفرة نوعية والاستقلال المباشر عنهما؟ ومبدئياً نفترض أن هذا النوع المتموضع في المنطقة ما بين الرواية والسيرة الذاتية لا يمكن أن يكون نوعاً مستقلاً بذاته فهو يستفيد من كلا النوعين، ولا يشترط أن تكون الاستفادة منهما متساوية فقد تغلب استفادته من الرواية على استفادته من السيرة الذاتية فيكون إلى الرواية أقرب والعكس؛ بالتالي فهذا النوع نوع هجين غير مستقل بذاته تتحكم في تصنيفه عدة معايير من بينها نية الكتابة والنوع المهيمن.

لم نعتمد في دراستنا هذه على منهج واحد بعينه وذلك راجع لطبيعة الدراسة التي تقتضي الاستعانة بمناهج مختلفة؛ فاعتمدنا الوصف بألية التحليل، وكذلك المنهج التاريخي خاصة في الشق النظري، كما اعتمدنا على المنهج البنيوي واستعنا باليات تأويلية مختلفة في استقرائنا لنص "ذاكرة الماء" لـ"واسيني الأعرج" في الشق التطبيقي، فجاء هيكل البحث موزعاً على ثلاثة محاور اختص الأول بالمقاربة النظرية

ودراسة المفاهيم والتداخل النوعي، بينما جاء الثاني تحليلاً للمكونات البنائية لرواية "ذاكرة الماء" وكشف العلاقات السير ذاتية فيها، في حين خصصنا الثالث لقضية تصنيف هذا العمل وإلى أي نوع ينتمي.

### المبحث الأول: مدخل مفاهيمي:

إن أردنا رصد التعالق القائم بين نوع الرواية ونوع السيرة الذاتية فلا بد من تحديد مفهوم هذين النوعين وتحديد خصائصهما النوعية وإن كان تحديد المفهوم أمراً نسبياً، ذلك أن الدراسات تجمع على صعوبة تعريف الرواية بسبب تحولها وعدم استقرار شكلها، وكذلك تفر بصعوبة تعريف السيرة الذاتية لتقلباتها وتداخلها مع كثير من الأنواع الأخرى كالمذكرات واليوميات والرسائل، وهذا ما يجعل الفصل النهائي والتام في مفهومها أمراً صعباً للغاية إن لم يكن مستحيلاً، رغم هذا سنحاول مقارنة هذين المفهومين من أجل المقارنة بينهما ومعرفة خصائصهما العامة والنقاط المشتركة بينهما لتحديد منطقة التداخل والنوع الهجين الذي يتولد من التقائهما معا.

### المطلب الأول: مفهوم الرواية:

تعتبر الرواية نوعاً أدبياً غير قابل للتحديد كما سبق وذكرنا، وذلك راجع لجملة من الأسباب أهمها حداثة النوع الروائي وعدم التزامه بشكل معين فهو لا يخضع لقواعد بنائية معينة ثابتة (كالشعر مثلاً) تُسهّل عملية تعريفه « تتخذ الرواية لنفسها ألف وجه، وترتدي في هيئتها ألف رداء، وتتشكل أمام القارئ، تحت ألف شكل، مما يعسر تعريفها تعريفاً جامعاً مانعاً»<sup>(1)</sup>، لذلك فإن الخوض في مسألة تعريف الرواية سيحيلنا إلى آراء وتعريفات متنوعة تختلف باختلاف توجهات النقاد الذين عالجوا هذا المصطلح، مما يجعلنا نحصي المفاهيم وندرجها دون الوصول إلى مفهوم قارّ يفض نزاع المفهوم، ولعل أفضل تعريف يمكن تقديمه والذي سيساعد على تحديد خصائص الرواية النوعية هو «الرواية مؤلفٌ مكتوبٌ نثرًا، الرواية نوع أدبي دون شكل محدد سلفاً، الرواية لا تعرض إلا المحسوس، الرواية تخيل، الرواية حكاية، الرواية محكي»<sup>(2)</sup>، حيث يُمكننا من خلال هذا التعريف الذي يغطي كثيراً من الخصائص المشتركة التي تتوافر عليها الكتابات الروائية أن نقول إن الرواية: فن أدبي نثري سردي يعتمد جانباً من الخيال وإن كان يستند

(1)-مرتاض عبد الملك، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد (د.ط.)، عالم المعرفة، الكويت، 1998 م، ص 11.

(2)- ( H. Coulet, Le Roman jusqu'à la Révolution, A. Colin, 1967 ) نقلاً عن: شارتييه بيير، مدخل إلى

نظريات الرواية، تر: عبد الكبير الشراقوي، (ط01)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2001 م، ص، ص: 10، 11.

إلى وقائع حقيقية في بعض الحالات (مرجع حقيقي)، يتميز بالتنوع والتعدد في أنبئته السردية ومضامينه الحكائية وله طوله الخاص، لا يستقر على شكل واحد بل يتخذ لنفسه أشكالاً مختلفة تختلف باختلاف مبدع العمل والبيئة الثقافية والإجتماعية المنتجة للنص، قادر على امتصاص خطابات مختلفة أدبية/ لأدبية ويوظفها في متنه توظيفا جديداً.

ومن هذا التعريف المقترح نستطيع أن نضع جملة من الخصائص النوعية التي تشترك فيها الكتابات الروائية كالتالي:

- فن أدبي: ووسمها بهذا يجعلها في حقل الأدبي ويخرج الأعمال اللأدبية من مجالها، بمعنى أن الرواية تتضمن الوظيفة الأدبية.

-ثري: بمعنى أنها ليست شعراً ولا ملحمة وإن كانت تقترب من الملحمة في شموليتها، إلا أنها تختلف عنها تماماً في لغتها ومضامينها.

-سردية: أي أن السرد هو الغالب فيها على الحوار وبالتالي فهذه السمة تخرج المسرحية من حقل الرواية. -خيالي: وهذا يخرج فن السيرة الغيرية والسيرة الذاتية وفن التراجم والمذكرات عن الرواية، حيث تعتمد هذه الفنون على المرجعية الواقعية وتخلو من الخيال الأدبي (في عمومها)، عكس الرواية التي تقصد إلى الخيال حتى إن كانت مادتها مادة واقعية حقيقية (تاريخية أو سيرية أو علمية).

-متنوع ومتعدد الأبنية وله طوله الخاص: وهذه السمة تخرج فن القصة القصيرة والقصة القصيرة جداً باعتبارها نثراً سردياً قد يكون تخيالياً هو الآخر لكنه لا يتوفر على تنوع وتعدد الأبنية والأفكار كالرواية، ولا يقارب شموليتها وطولها حيث إنها أوسع حجماً وأكبر مساحة، فالقصة القصيرة والقصة القصيرة جداً تتمحوران حول فكرة واحدة تتم معالجتها في حدود طول معين، على خلاف الرواية التي تتضمن أفكاراً مختلفة وتقدم سرداً لأحداث وأزمنة وأماكن كثيرة وتحتوي على شخصيات كثيرة.

- لا يستقر على شكل واحد بل يتخذ لنفسه أشكالاً مختلفة: فلكل كتابة روائية توفرت على الخصائص فارطة الذكر شكل يختلف عن الآخر، وهذا يفسر مختلف التيارات الروائية واتجاهاتها فبعض الروايات يوضع في قالب نفسي (الرواية النفسية) والآخر في قالب عاطفي (الرواية الرومانسية) وآخر يلبس شكلاً فلسفياً (الرواية الوجودية، الرواية العبثية)، وبعض الروايات تكسر خطية الزمن وتسلسل الأحداث ولا تستقر على شكل واحد بل تخلق لنفسها شكلها الخاص المختلف مع كل عمل (الرواية الجديدة)، لذلك فإن مسألة الشكل في الإبداع الروائي مسألة نسبية تختلف باختلاف كل رواية وتكون هناك ثورات وحساسيات على كل شكل يمكن تتبعه تاريخياً.

- قادر على امتصاص خطابات مختلفة أدبية/لأدبية: وهذا يجعل من الرواية نصا مفتحا يستفيد من بقية الأنواع الأدبية الأخرى، وكذلك ومن الخطابات ذات الطبيعة اللأدبية ( كلام يومي، مقالات جرائد، أخبار تلفزيونية...) وبهذا يحقق شرط التنوع الذي يضعه "باختين Mikhail Bakhtin" للرواية.

### المطلب الثاني: مفهوم السيرة الذاتية:

إن السيرة الذاتية كغيرها من الأنواع الأدبية قد مُورست مع ممارسة الكتابة قديما وشكّلت موضوعا جيدا للكتابة، بمعنى أننا قد نجد آثارا سير ذاتية موعلة في التاريخ البشري منذ منشأ الحضارات، ككتابات القبور المصرية، ونقوش المعابد البابلية، وبعض كتابات الإغريق الفلسفية التي تحمل خصائص سير ذاتية، وصولا إلى الوثائق وكتابات الملوك التي سجلوا فيها حياتهم الخاصة ومنجزاتهم التاريخية، فمثلا في الشرق الأوسط نجد هناك العديد من وثائق السيرة الذاتية المتعلقة بالشعوب المتحضرة القديمة كمصر وبابل وهي كثيرة جدا... بحيث تظهر هذه الوثائق الشرقية نوعا محددًا من المفهوم السيري ذاتي الذي يسمُّ تلك المرحلة، يتمثل في الشكل التعبيري الذي يستعرض به الكاتب حياته فهو يصور حياته ويعرضها على مستوى واحد دون أن يملك أدنى فكرة عن التطور، فيسجل الجزء الذي يعتقد أنه جدير بالتسجيل أي تلك اللحظات من حياته التي تكون في تقديره أفضل للحظات<sup>(1)</sup>، أي أن عرضه لا يتسم بتقسيمات من قبيل مرحلة الطفولة ومرحلة الشباب وأحداث من الشيخوخة كما نجدها في السير الذاتية المعاصرة وهذا ما يُقصد به العرض على مستوى واحد.

وبالرجوع إلى قضية قدم السيرة الذاتية كممارسة إبداعية فإنه يجب التنبيه على أن هذه الوثائق القديمة التي تحمل خصائص سير ذاتية لا يمكن اعتبارها سيرا ذاتية بالمفهوم الكامل والمعاصر للسيرة الذاتية الحالية وذلك لغياب العامل الفردي فيها، أو غياب الشخصية الفردية والوعي بالذات وطغيان الوعي الجمعي الذي كان يسم تلك الحقب التاريخية حيث كان وعي الإنسان بوجوده الفردي لا يمكن أن يتشكل إلا في إطار الجماعة فلا يمكن للإنسان أن يفكر بذاته خارج النسق الجمعي وعليه «إن السيرة الذاتية للفرد - وربما ذاكرة السيرة الذاتية - بمعنى مميز، كما هو الحال بالنسبة للهوية المستقلة التي تعرف الذات كما فهمت، على سبيل المثال، في بحث هاملت وفاوست عن معرفة الذات، غير واردة في الفكر الإغريقي القديم وخلال معظم تاريخ الإنسان. هذا البحث، كما انعكس وتشكل بشكل إيجابي من القرن السادس عشر إلى القرن الثامن عشر في الفلسفة والأدب الأوروبيين، يجب رؤيته على خلفية نسيج

(1) ينظر:

Georg Misch: A History of Autobiography in Antiquity, part 1, 1st Edition Published in 1950, reprinted by Routledge in 1998 and 2002, p,p: 19, 20.

آخر جديد ظهر مع العالم الحديث: مقولات الذات مقابل مقولات المجتمع والقانون المعياري»<sup>(1)</sup>، بالتالي فإن السيرة الذاتية لم تظهر كنوع مستقل واضح المعالم، وإن كانت موجودة ومطموسة أو متعاقبة مع باقي الأنواع قديماً - إلا حديثاً مع بدايات تشكل الوعي الفردي والمقولات الفردية.

أما مسألة ظهور المصطلح ومجال استعماله فقد قيل فيها الكثير، لكن الراجح أن ظهور مصطلح "السيرة الذاتية" كمصطلح يشير إلى نوع أدبي مرتبط بالذات الفردية على وجه الخصوص ظهر في حدود سنة 1800 « ومهما يكن من أمر فالراجح أن هذه الكلمة قد انتشرت حوالي سنة 1800 في أهم اللغات الأوروبية»<sup>(2)</sup>، لذلك فإن حداثة نشأت السيرة الذاتية كمصطلح، وحداثة تشكلها كنوع مستقل - كما هو الحال مع الرواية - وإشكالية الاختلاف المتعلقة بظهورها واستقرارها كنوع أدبي، يجعل من مسألة تعريفها تعريفاً جامعاً مانعاً أمراً صعباً، ولعل "واين شومايكر wayne shumaker" يحيلنا إلى أسباب صعوبة دراسة وتعريف السيرة الذاتية، حيث يعتبر أن أول هذه الأسباب هو عدم وجود اتفاق عام حول الحدود الرسمية المادية والشكلية وهذا يطرح قضية كيفية التعرف على السيرة الذاتية، وثاني الأسباب هو الحجم الهائل للوثائق ذات الصلة بموضوع السيرة الذاتية والتي لم يتعرض لها ولم يتابعها المؤرخون الأدبيون، هذه الصعوبات مترابطة مع بعضها البعض وبالتالي فإن كتابة تاريخ شامل للسيرة الذاتية يكاد يكون مستحيلًا، فوجود الحدود يسمح بتوجيه معقول يتيح التعرف على النصوص وتصنيفها، من جهة أخرى فإن عدم وجود تاريخ جدير بالثقة لتحديد الحدود يجر إلى اتخاذ قرارات تعسفية، والتي من شبه المؤكد أنها ستثير استياء العلماء القلائل الذين لديهم عمل رائد في هذا الموضوع.<sup>(3)</sup>، والظاهر أن الناقد الفرنسي "فيليب لوجون Philippe Lejeune" هو أول من حاول أن يقدم مفهوماً مقنناً للسيرة الذاتية وذلك من أجل وضع حدود قارة لهذا النوع الأدبي، ليعرفها على أنها «حكي استعادي نثري يقوم به شخص واقعي عن وجوده الخاص وذلك عندما يركز على حياته الفردية وعلى تاريخ شخصيته بصفة خاصة»<sup>(4)</sup>،

Watt, I. (1996). Myths of modern individualism. Cambridge: Cambridge University Press. (1)

(نقلا عن: فريمان مارك وبروكمير جينز، التكامل السردى الهوية في السيرة الذاتية ومعنى الحياة الطيبة، مجلة فصول، ع 88-87، 2013-2014 م، ص 279).

(2)-ماي جورج، السيرة الذاتية، تر: محمد القاضي وعبد الله صولة، (ط02)، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2017 م، ص 35.

(3)-ينظر:

Wayne Shumaker: English Autobiography Its Emergence Materials And Form, UNIVERSITY OF CALIFORNIA PRESS BERKELEY AND LOS ANGELES, 1954, p 01.

(4)-لوجون فيليب، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر وتوق: عمر حلي، (ط01)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان 1994 م، ص 22.

في حين يقر "جورج ماي George May" بصعوبة تعريف السيرة الذاتية-ويبتعد أصلا عن قضية التعريف- ويعلل هذا بحدثة المصطلح الذي لم يمض على وجوده قرنان واشتماله على مجموعة من النصوص لم تتمكن سنن القراءة من تفسيرها وتوحيدها والمجانسة بينها، ويقترح الاختصار على تعريف بسيط هو أنها سيرة كتبها من كان موضوعا لها<sup>(1)</sup>، وهذا ما ذهب إليه "ميش georg mish" قبله الذي أقر بصعوبة إيجاد تعريف جامع مانع للسيرة الذاتية كونها نوعا أدبيا يتحدى التصنيف أكثر من الأشكال الإبداعية الأخرى، ويقترح الاكتفاء بدلالة المصطلح الاشتقاقية عندما يعرف السيرة الذاتية "autobiographiy" بأنها: وصف لحياة بشرية فردية بواسطة الفرد نفسه<sup>(2)</sup> مؤمنا بأنه يمكن تعريف السيرة الذاتية فقط من خلال دلالة المصطلح الاشتقاقية.

وعلى هذا الأساس واستنادا للتعريفات فإننا نجد أن السيرة الذاتية نتيجة لارتباطها بالذات فإنها تتعاطق مع مختلف الأنواع الأدبية الأخرى، فنجدها حاضرة في الشعر وفي القصة وفي الرواية وغيرها من الأنواع الأدبية، فالمبدع يستحضر قطعة من حياته في أعماله الأدبية المتناثرة، لكن عادة ما ترتبط السيرة الذاتية بعمل كامل يصور حياة الشخص بالسرد النثري لقدرته على استيعاب الأحداث وسهولة التحكم به من طرف المبدع، وعليه يمكننا أن نعرف السيرة الذاتية على أنها عمل سردي ذات نزوع نثري (في أغلب الحالات)، لحياة شخص ما مكتوبة من طرفه هو، يستحضر فيها ذكريات من الماضي (خطاب استرجاعي)، وحتى نغطي كافة الاحتمالات ولا نقصر السيرة الذاتية في الأنواع النثرية فقط (لأننا نجد ضروبا من السيرة الذاتية ومقاطع من حياة الشخص تتم صياغته في أنواع أدبية أخرى كالشعر أو القصة القصيرة)، فإن المبدع قد يستغل بعض عناصر سيرته الذاتية في بناء قصيدة شعرية أو قصة قصيرة...، حيث قد تتسرب قطع من هذه الحياة وتلبس لبوس أنواع أدبية أخرى، عندها تكون هذه الأعمال الأدبية ذات خصائص سيرذاتية (قصيدة سيرذاتية، قصة سيرة ذاتية...).

من خلال هذا التعريف يمكننا أن نجمل خصائص السيرة الذاتية كالتالي:

-سرد: حيث تكون السيرة الذاتية سردا وهي تُخرج بهذا المسرحية من دائرتها.

-ذات نزوع نثري: نقصد بالنزوع النثري أن معظم السير الذاتية (التي تكتب كاملة بمعنى تعالج حياة الشخص من بدايتها إلى لحظة الكتابة) تكون نثرية وهي بهذا تستبعد كل من الملحمة والشعر دون أن ننفي وجود قصائد أو ملاحم ذات خصائص سيرذاتية، فالسيرة الذاتية اشتهرت في النثر لقدرته على

(1)-ينظر: ماي جورج، السيرة الذاتية، ص، ص: 23، 24.

(2)-ينظر:

استيعاب مراحل الحياة أكثر من الشعر، فأكثر السير الذاتية هي نثرية لكن هذا لا يمنع من وجود ملامح سير ذاتية تتسلل للشعر إلا أنه بإجماع من النقاد لا يمكن كتابة سيرة ذاتية كاملة من مرحلة الطفولة إلى الشيخوخة في قالب شعري، لذلك نستبعد الشعر باعتبار غياب سيرة ذاتية شعرية كاملة الملامح «إن السير الذاتية عمل نثري، قصدنا من ذلك أن كل السير الذاتية نثرية. وهذا القول دقيق، ولكن يترتب عليه أن السير الذاتية الشعرية من قبيل التمهيد الشهير لـ «وردزورث» (Wordsworth) (وقد وسمه صاحبه بعنوان فرعي هو «قصيدة سير ذاتية» ليست سيرة ذاتية. أما إذا قلنا على عكس ذلك، إن السيرة الذاتية تنزع إلى أن تكون نثرية، فمقصودنا أن جل السير الذاتية نثرية، وهذا صحيح، ومن ثم فإن مفهوم النزعة يقوم على دراسة إحصائية ضمنية»<sup>(1)</sup>.

- **لحياة شخص ما:** فموضوعها حياة الشخص وهو ما تركز عليه ليمثل مرجعها الواقعي وهي بهذا لا تعتمد على الخيال وتُخرج الرواية من دائرتها.

- **مكتوبة من طرف الشخص ذاته:** وهذا ما يجعلها خطابا ذاتيا مكتوبا بضمير المتكلم ويستدعي المطابقة بين الكاتب الحقيقي والشخص المكتوب عنه (موضوع السرد) داخل السيرة وهي بهذا تُخرج السيرة الغيرية عن دائرتها.

- **ذات طبيعة استعادية:** فهي تعتمد على استرجاع أحداث ماضية وإعادة كتاباتها وفق تقنية "الفلش باك".

- **حدودها مرنة وغير واضحة:** بحيث يمكن إيجاد لمحات من السيرة الذاتية داخل أنواع أدبية أخرى، فهي حاضرة في كل نوع دون أن تكون هي ذلك النوع.

### المطلب الثالث: تعالق الرواية بالسيرة الذاتية:

من خلال تعرضنا لمفهوم الرواية والسيرة الذاتية نستطيع إدراك التعالق القائم بين هذين النوعين فهما تقريبا يشتركان في الخصائص نفسها (سرد، نثر، عدم الاستقرار على شكل واحد، مرونة الحدود وعدم الوضوح...) ويختلفان تقريبا في المرجعية فالأولى تظهر في لبوس الخيال وتعتمده لنسج الأحداث -أو تعتمد قدرا منه على الأقل-، والثانية تظهر في لبوس الحقيقة وتستند على الواقع وعلى الأحداث الحقيقية «ما يميز موقفنا عند قراءة سيرة ذاتية عن موقفنا عند قراءة رواية، ليس كون الأولى حقيقية

(1)-ماي جورج، السيرة الذاتية، ص، ص: 315، 316.



والثانية خيالية، وإنما كون الأولى تظهر لنا في لبوس الحقيقية والثانية في لبوس الخيال»<sup>(1)</sup>، وتقارب هذين النوعين كونهما سردا نثرية مطولا يجعلهما يتداخلان مع بعضهما بطريقة يصعب فيها على القارئ تحديد النوع الذي يقرؤه، خاصة وإن عمد المؤلف إلى التهرب من الميثاق النوعي الذي يحدد النوع الأدبي، فيقرأ القارئ أحيانا رواية يرى فيها سيرة ذاتية مقنعة لصاحبها، ويقرأ حيناً آخر سيرة ذاتية فينتابه الشك ما إن كانت هذه سيرة ذاتية أم رواية.

ولعل هذا راجع لاستفادة السيرة الذاتية من تقنيات الكتابة الروائية «ولمّا كان نضج الرواية سابقا في الزمن على نضج السيرة الذاتية فليس لنا أن نستغرب من أن تكون السيرة الذاتية قد استعارت عند نشأتها الطرائق السردية التي سبق أن اعتمدت في كتابة الرواية»<sup>(2)</sup>، واستفادت الرواية من مادة السيرة الذاتية التي تعتبر مادة حية ثرية بالتجارب والخبرات الحياتية، فجد أن هناك نوعا من التحول في خطاب السيرة الذاتية من خطاب اعترافي يسعى إلى تعرية الذات إلى خطاب يعتمد على التقنيات الروائية في بث حياة المبدع وتنظيم أحداثها لذلك قد تنزع بعض السير الذاتية إلى الخيال الأدبي متخيلة بهذا عن مقولة المرجعية الخالصة لتتحو في سلوكها هذا نحو الرواية غير أنها تخالفها في المقصد إذ أن مقصد السيرة الذاتية عرض حياة صاحبها ليكون هو الموضوع والمؤلف حين تبتعد الرواية في كثير من الأحيان عن هذا التخصيص في السرد الذي تتبناه السيرة الذاتية، ومن خلال هذا يمكننا ملاحظة منطقة التماس بين النوعين.

إن أدبية السيرة الذاتية لا تتحقق إلا من خلال روايتها ولا يمكن للرواية أن تحقق ذاتها على صعيد الكشف النفسي وفضح التابوهات إلا من خلال الاستعانة بالسيرة الذاتية، لذلك نجد اعترافات العديد من الروائيين تقر بأن رواياتهم ولدت من سيرهم أو هي مطابقة لسيرهم وعليه فالعلاقة بين السيرة الذاتية والرواية علاقة جدلية تسعى فيها السيرة إلى إيجاد جمالياتها الأدبية عن طريق تقنيات الرواية<sup>(3)</sup>، وتسعى من خلالها الرواية لاكتساب مصداقية واقعية من خلال السيرة الذاتية، وهذا ما ينتج نوعا هجينا يشتغل على المتخيل الروائي وعلى واقعية السيرة الذاتية، نوع يمتزج فيه الحقيقي مع الخيالي بطريقة يصعب الفصل فيها بينهما مع غياب الميثاق القرائي واختفاء المؤلفين خلف أقنعة الشخصيات الروائية أو تداخل الأحداث الخيالية مع الواقعية وصعوبة التمييز بينها، وهذا النوع هو "الرواية السيرة ذاتية" أو "السيرة الذاتية

(1)-ماي جورج، السيرة الذاتية، ص272.

(2)-المرجع نفسه، ص259.

(3)-ينظر: المناصرة حسين، وهج السرد مقاربات في الخطاب السردى السعودي، (ط01)، عالم الكتب الحديثة، إريد،

الأردن، (د، ت)، ص 97.

الروائية" حسب اختلاف التسميات التي تطلق عليه، حيث يشتغل العديد من المبدعين العرب في مجال السرد على إنتاج سير ذاتية -لا تخلو من الروائية- وعلى روايات -لا تخلو من السيرة الذاتية- وهذا من أجل ابداع يدعم المعرفة الحقيقية داخل العمل الأدبي وذلك من خلال التركيز على حضور المرجعي في النص سواء كان هذا النص سيرة ذاتية أو سيرة ذاتية روائية أو رواية، ليكون هذا المرجعي دلالة على حقيقة العوالم المتخيلة داخل هذا العمل<sup>(1)</sup>، ولعلنا نتساءل هل هذا النوع الهجين تابع للرواية؟ أم أنه يصنف في خانة السيرة الذاتية؟ وما هو المعيار المعتمد في تصنيفه؟

سنحاول الإجابة عن هذه الإشكالية أثناء تناولنا لنص "ذاكرة الماء" بالدرس والتحليل من أجل الكشف عن بنائه السير ذاتي وتحديد نوعه، لكن يمكننا الإشارة إلى وجود فرق بين مصطلح "الرواية السير ذاتية" ومصطلح "السيرة الذاتية الروائية"، فرق يعتمد على أولوية الترتيب الذي لم يأتِ اعتباطاً، فالرواية السير ذاتية هي رواية بمعنى أن عقدها القرائي "رواية" ولكنها تعتمد مادة السيرة الذاتية ومضات من حياة المؤلف الحقيقية، فهي تستغل التشكيل السير ذاتي إلى جانب تشكيلات أخرى بمعنى أنها لا تتمحور حول السيرة الذاتية وحدها ولكنها توظفها إلى جانب مواد روائية أخرى ويأتي السرد فيها على ضربين إما بضمير الغائب أو بضمير المتكلم وتعتمد الاسترجاع، أما السيرة الذاتية الروائية فهي سيرة ذاتية في المقام الأول وتعتمد السيرة الذاتية وحدها كمادة لخطابها لكنها لا تخلو من بعض شطحات الخيال ويتوسل هذا النوع التقنيات الروائية في عرض السيرة الذاتية، وعليه يجدر بنا التفريق بين هذين النوعين باعتبارهما يختلفان فالأولى رواية والثانية سيرة ذاتية.

تبقى إشكالية تحديد الميثاق القرائي، إذ نجد بعض الأعمال سيرة ذاتية بامتياز لكن أصحابها يسمونها بالرواية ولعل هذا يعتبر تهرباً من الرقابة الاجتماعية أو السياسية، لكن في نهاية الأمر يستطيع القارئ أن يدرك أن هذا العمل يحتوي بطريقة ما على تشكيل سير ذاتي لكنه سيعجز عن معرفة هل هذه رواية سير ذاتية أم أنها سيرة ذاتية روائية؟ وهذا الإشكال يصادفنا في نص "ذاكرة الماء" فصاحبه يضع عليه وسم الرواية رغم أنه يسرد فيه تجاربه الشخصية وشيئاً من سيرته الذاتية وحياته، لذلك سنسعى من خلال دراستنا للكشف عن تركيب هذا العمل وتحديد نوعه استناداً إلى النتائج التي سنتوصل إليها من خلال التحليل.

(1) - ينظر: العيد يمني، الرواية العربية المتخيل وبنيتها الفنية، (ط01)، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2011 م، ص، ص:

**المبحث الثاني: البناء السيري ذاتي في رواية ذاكرة الماء وسرد الحياة الشخصية في رواية ذاكرة الماء:**

سننظر في هذا المبحث التطبيقي إلى استثمار السيرة الذاتية والحياة الشخصية من طرف المؤلف وتوظيفها في الرواية ذات الطبيعة التخيلية- ثم نختمه بإشكالية التجنيس لتحديد نوع هذا العمل بدقة.

**المطلب الأول: البناء السيري ذاتي في رواية ذاكرة الماء:**

تعتبر رواية "ذاكرة الماء" نوعاً من الكتابة السيرة ذاتية التي عرض فيها كاتبها جملة من تفاصيل حياته الواقعية وهروبه من الموت في العشرية السوداء «ذاكرة الماء» هي الأقرب إلى السيرة الذاتية، فيها الكثير مما حصل لي ولابنتي ولما حدث لزوجتي التي رحلت مع ابني»<sup>(1)</sup>. وإن كان واسيني لا يعترف بأنها سيرة ذاتية خالصة فهو يذيلها بنوع "الرواية" من أجل ممارسة لعبته الفنية في المزوجة بين السيرة الذاتية ذات المرجع الواقعي، والرواية ذات المرجع التخيلي فيقول: إن الأحداث في ذاكرة الماء أحداث واقعية- كما سبق وصرح بذلك- لكنها لا تمثل الحقيقة كما هي ولا تعكس الواقع بدقة والرسائل المدرجة في متن الرواية بعضها صحيح وبعضها الآخر غير ذلك، تم توظيفها كألعاب فنية فأحد الرسائل لم تكن بينه وبين زوجته ولكنها كانت بينه وبين الروائية أحلام مستغانمي<sup>(2)</sup>؛ إذن فهذا العمل وعلى رغم الميثاق القرائي الذي يصرح به الكاتب من البداية "رواية" إلا أنه يعتمد على مادة سير ذاتية كبيرة في بناء أحداثه، ورغم اعتراف المؤلف بأن هذا العمل جزء من سيرته إلا أنه يضيف هامشاً ليقول بأن بعض التفاصيل ليست صحيحة وعليه يمكننا إدراج هذا العمل في تصنيف بين الرواية والسيرة الذاتية، فهل هذا العمل سيرة ذاتية اعتمدت تقنيات الرواية في العرض "سيرة ذاتية روائية" أم أنه رواية استثمرت السيرة الذاتية كأحد الخطابات المكونة لها "رواية سير ذاتية"؟

يصعب البت في هذا الأمر فمعالم التداخل ليست واضحة، نحن نقرأ سيرة الكاتب الذاتية ولا نستطيع الجزم بأن ما يحكيه هو سيرة بأكمله، ونحن كذلك نقرأ رواية ولا نستطيع إنكار البعد السيري ذاتي فيها، وربما لنجيب عن سؤال التصنيف هذا وجب علينا تفكيك العمل وسننطلق من العنوان وما يحمله من دلالات إيحائية تحيل إلى الذات.

(1)-الرياحي كمال، حوار مع الروائي الجزائري واسيني الأعرج، مجلة عمان، ع 96، حزيران 2003 م، ص16.

(2)-ينظر: المرجع نفسه، ص16.

## أولاً: رمزية العنوان:

إن العنوان هو البنية الأساسية الأولى التي نصطدم بها عند دراستنا للأعمال الأدبية وخاصة الروائية التي تعتمد على العنونة لتكون عتبة ولوج لعالمها المنفتح على دلالات عديدة فالعنوان «عبارة عن نص ابتدائي أو سابق ينتجه المؤلف أو غيره والذي يعتبر كخطاب منتج للنص يتبعه أو يسبقه»<sup>(1)</sup>، وهو مفتاح النص وهويته ومن خلاله نستطيع اكتشاف العديد من الدلالات المتعلقة بالمتن، ويطلق عليه " بوكوبزا Serge Bokobza " مصطلح "الكشاف الضوئي" مهمته تتمثل في لفت الانتباه وفي إبراز الكثير من الأشياء المتعلقة بالنص<sup>(2)</sup>، ويضيف أن العنوان يجب أن يتم تحليله، ليس فقط في علاقاته مع محتوى المؤلف، بل كذلك في علاقاته تجاه القارئ<sup>(3)</sup>، والعنوان في حالتنا هذه "ذاكرة الماء" هو بنية موازية للنص الروائي يوجهنا لتأويله، فأولاً نجد حضوراً لكلمة "ذاكرة" والتي تحيلنا مباشرة إلى الاسترجاع واستعادة الماضي «ذَكَرَ الشيء ذِكْرًا وَذُكِّرًا وَذِكْرًا وَتَذَكَّرًا حفظه واستحضره وجرى على لسانه بعد نسيانه»<sup>(4)</sup>، وتقترب بكلمة "الماء" الدالة على الانسياب والحركة وكأنما حركة الذاكرة وانسيابيتها من حركة الماء، كما تدل على الرجوع إلى الأصل فالماء يتميز بتقلباته وتحولاته الفيزيائية لكنه في النهاية يعود إلى أصله، ولعل الروائي يرى أن الأصل والعودة إلى الأصل التي يتقاطع فيها مع الماء لا تكون إلا عن طريق الذاكرة.

فالعنوان برمته يرتبط بالرواية التي تعتبر أحداثها مسترجعة من ذاكرة الكاتب الذي يصرح في بداية الرواية قائلاً: «وهل للماء ذاكرة؟ هو ذاكرتي أو بعض منها ذاكرة جيلي الذي ينقرض الآن داخل البشاعة والسرعة المذهلة والصمت المطبق»<sup>(5)</sup>، كما نجده داخل المتن الروائي وهو يصف عملية كتابته للرواية والتي اعتمد فيها على أوراق قديمة ورسائل ومذكرات عندما تتصحح ابنته "ريما" بأن يرتاح قليلاً من مراجعته لهذه الوثائق يجيبها «أوف. لم أقرأها كلها. قطرة من ذاكرة. ذاكرة الماء؟ ! وهل للماء ذاكرة؟»<sup>(6)</sup>،

(1)- Gerard Genette, « Palimpsestes » , la littérature au second degré, édition du seuil, paris, 1982, p 10.

(2)-Serge Bokobza, Contribution à la titrologie romanesque: variations sur le titre Le Rouge et le Noir, Librairie Droz, Genève, (1986), p37.

(3)- ibid, p37.

(4)-مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (ط4)، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004 م، ص313.

(5)-الأعرج واسيني، ذاكرة الماء محنة الجنون العاري، (ط4)، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، 2008 م،

ص9.

(6)-المصدر نفسه، ص190.

أما شقه الفرعي "محنة الجنون العاري" فهي تحيلنا إلى الفترة الزمنية السوداء التي قضاها الكاتب في وطنه هرباً من الموت والإرهاب «وأنا أكتب هذا النص فوجئت بميراث الكتابة التراجيدي: جنون يقارب الانتحار، مرض العيون والذاكرة»<sup>(1)</sup>، بالتالي فالعنوان يختزل لنا مضمون الرواية ويكشفه وفي الوقت نفسه يحيلنا إلى بعدها السيري ذاتي الذي أوحى به كلمة "ذاكرة"، وإلى جانب العنوان تتكاتف مؤشرات أخرى تمارس لعبتها الفنية - كما يقول الكاتب - بين الحضور والغياب من بينها حضور الميثاق الروائي بشكل معلن وصريح وغياب الميثاق السيري ذاتي.

### ثانياً: غياب الميثاق السيري ذاتي وحضور الميثاق الروائي:

يصرح الكاتب بأن عمله هذا ينضوي داخل إطار الرواية وذلك عن طريق الميثاق الذي يعقده مع القارئ بتذليل عنوانه بالنوع الأدبي الذي جاء بلون أسود بين سطرين تحت عنوان العمل مباشرة "رواية"، وهو بهذا يقّر بأن العمل خاضع لتقنيات الكتابة الروائية وعلى القارئ التعامل معه وفق منطق الرواية، بالتالي فالكاتب يحاول بهذا العقد تحديد موقف القارئ كما يقول "لوجون Philippe Lejeune"، فإن لم تكن حالة التطابق مؤكدة فهي حالة تخيل سيسعى القارئ إلى عقد مشابهاً وإن لم يرغب المؤلف في ذلك، أما إن تأكد التطابق فهي سيرة ذاتية وهنا سيذهب القارئ للبحث عن الاختلافات والتشابهات التي أجراها الكاتب على سيرته الذاتية<sup>(2)</sup>، أو الألعاب الفنية كما سماها واسيني، والعقد هنا حدده الكاتب بـ"الرواية" بمعنى أن القارئ أمام حالة تخيل يسعى فيها إلى عقد مشابهاً بين سيرة واسيني الذاتية الحقيقية وبين هذه الرواية، لكننا نصطدم داخل الرواية وفي مقدمتها بتصريح يؤكد شيئاً من التطابق بين المحكي داخل العمل وبين السيرة الذاتية للمؤلف، وهذا يضرب مصداقية الميثاق المعلن عنه "رواية" ليعقد ميثاقاً آخر هو ميثاق "السيرة الذاتية".

### ثالثاً: التطابق:

هناك حضور للتطابق بين السارد والشخصية الرئيسية تتمثله في السرد الذي جاء بضمير المتكلم «لم أعد أتذكر شيئاً مهما سوى ما قالته العرافة لأمي منذ أكثر من أربعين سنة»<sup>(3)</sup>، ونستطيع عقد المشابهة وتأكيد التطابق مع المؤلف من خلال القصة التي يذكرها وهي نبوءة العرافة التي قالت لأمه بأن تسميه على اسم أحد الأولياء الصالحين حتى ينجو من الموت بالحديد، والقصة نفسها يذكرها في عمل آخر هو "سيرة المنتهى" ويصرح فيها باسم الولي وباسمه، فتذكر العرافة أن على أمه أن تسميه "واسيني"

(1) - المصدر نفسه، ص10.

(2) - ينظر: لوجون فيليب، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، ص39.

(3) - الأعرج واسيني، ذاكرة الماء، ص15.

نسبة إلى الولي الصالح حتى ينجو من الموت إضافة إلى ادراجه للقبه الشهير "لزرع الحمصي" الذي يحيل إليه مباشرة، وعليه فالتطابق بين المؤلف والسارد والشخصية الرئيسية حاضر لكنه تطابق ضمني إذ أن الكاتب لا يصرح باسمه علانية في هذا العمل ولكنه يحيل إليه فقط حيث «يتحمل السارد التزامات أمام القارئ وذلك بالتصرف مثل المؤلف، بطريقة تجعل القارئ لا يحمل أي شك حول كون ضمير المتكلم يحيل إلى الاسم القائم على الغلاف، وإن كان هذا الاسم غير وارد في النص»<sup>(1)</sup>، وهذا ما فعله "واسيني" في مقدمة عمله، إذن فمعيار التطابق في هذا العمل جاء ضمنيا ليؤكد على البعد السيري ذاتي في العمل ويؤكد على روائيته أيضا.

#### رابعا: حضور البعد التراسلي السيري ذاتي:

نجد حضور البعد التراسلي في الرواية متمثلا في رسائل متبادلة بين السارد/الشخصية الرئيسية الذي هو المؤلف كما سبق وأشرنا، وبين زوجته مريم المغتربة التي تركت أرض الوطن لتذهب إلى المنفى، ولعل الرسائل من أكثر التشكيلات التي تجسد السيري ذاتي في العمل الروائي وهذا راجع لقيمتها السردية الكبيرة التي يمكن أن تسلط الضوء على حياة الكاتب وتجربته أكثر من أي مصدر سير ذاتي آخر<sup>(2)</sup>، ترسل مريم رسالتها إلى زوجها يفتحها يقرأها «فتحتها عن آخرها بها رائحة مريم. شوقي الذي فيّ. نشوتي البعيدة. حبيبي منذ زمن بعيد لم نتراسل.»<sup>(3)</sup>، ويدخل بعدها الكاتب مغامرة مجنونة لكتابة رسالة وإرسالها لزوجته خاصة في ظل الظروف التي يعيشها بعد قتل أصدقاء له فنانيين، وكذلك كُتِّبَ قريبين منه، وتلقيه تهديدات بالقتل فينزوي في مكتبه ويأخذ ورقة ويكتب «حبيبتي. أشواقي المعطوبة. مريم... مجنونتي. من أين أبدأ هذا الخوف»<sup>(4)</sup>، ثم يسرد بعدها رحلته الخطيرة من أجل إرسال رسالته، التقائه بعامل البريد الملثحي المثير للشبهة الذي يبيعه طابع البريد، ثم يتذكر حادثة صديقته مديرة المتحف التي أرادوا قتلها هناك لكنها نجت بأعجوبة، يوقن أن القتل سيضطروا على نقاط حساسة في الدولة يتحسر على الأوضاع ويرسل رسالته.

تدخل هذه الرسائل في التركيب السيري للرواية لتؤكد أكثر على البعد السيري ذاتي فهي تضع صاحبها «في مواجهة حرة مع نفسه أولا ومع المرسل إليه ثانيا بكل ما تحمله هذه المواجهة من صراحة

(1) -لوجون فيليب، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، ص، ص: 39، 40.

(2) - ينظر: عبيد صابر محمد، التشكيل السيري ذاتي التجربة والكتابة، (د،ط)، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق،

سورية، (د، ت)، ص 15.

(3) - ينظر: الأعرج واسيني، ذاكرة الماء، ص 179.

(4) - ينظر: الأعرج واسيني، ذاكرة الماء، ص 223.

وحميمية وتطابق مع الذات»<sup>(1)</sup>، ويتصريح من المؤلف يقر بصحة بعض هذه الرسائل ودخول بعضها الآخر في ألعابه الفنية ومزاجته بين المرجعي الواقعي والمتخيل الفني.

### المطلب الثاني: سرد الحياة الشخصية في رواية ذاكرة الماء:

إن الكاتب في هذه الرواية-حسب تصنيفه هو- يسرد حياته الشخصية «أنا أكتب حياتي قطرة قطرة، ولكن حياتي التي عشتها وحياتي التي يمكن أن أعيشها أو الحياة التي خسرتها»<sup>(2)</sup>، مع بعض التداخلات الاجتماعية والتاريخية والتي لا يمكن عزلها عن الذات فهو إذ يسرد حياته الشخصية سينقل لنا وقائع من العالم الخارجي من محيطه الاجتماعي الذي يحتك به، وهو في سرده يحكي لنا عن هربه من الموت هذا الموت ليس قدرا مجهولا ولكنه تهديد حاصل من طرف جماعات مسلحة تريد التخلص منه، هذه الجماعات جزء من التركيب الاجتماعي للمبدع في تلك الفترة فهو يسرد ذاته متواشجة مع الذاكرة الجماعية والاجتماعية عن طريق نقل وقائع حصلت في ذلك الوقت وقصص عن أصدقاء وأحباب ماتوا أو كافحوا معه، دون أن ننسى توظيفه شيئا من مذكرات ابنته ربما "سلطان الرماد"، وكذلك نزوعه إلى التوظيف التاريخي باستحضار مقتطفات من تاريخ المدينة أيام الدولة العثمانية والغزو الإسباني، لينطوي كل هذا تحت مضلة الذات والذاكرة الفردية التي تتحكم في هذه العناصر ليكون العمل عملا نثريا استعاديا بامتياز، يستفيد هذا العمل من تقنيات الكتابة الروائية فهو لا يصور الواقع بقدر ما يعيد إنتاجه تخيليا وهنا نستطيع تتبع التشبيهات التي أجراها/ لم يجرها الكاتب على سيرته ووقائع حياته، على مستوى الأشخاص والأمكنة وبعض البنى الأخرى.

### أولا: الشخصيات:

إن الشخصية مكون أساسي في البناء السري الروائي باعتبارها عنصرا سرديا مهما إذ لا يمكننا تخيل رواية دون شخصيات حتى وإن كانت غير بشرية، فالشخصيات تتجاوز مفهوم العنصر البشري كما يذهب إلى هذا "غريماس **Algirdas Julien Greimas**"، وقد جاءت شخصيات رواية ذاكرة الماء شخصيات واقعية تنطلق «من كونها تمثل معادلا لمفهوم الشخص الواقعي الموجود بالفعل أو الذي يمكن أن يوجد ونصادفه في الحياة»<sup>(3)</sup>، فمعظم شخصيات العمل حقيقية في جوهرها لكن الكاتب عمد لتغيير

(1)-عبيد صابر محمد ، التشكيل السيري الذاتي التجربة والكتابة، ص15.

(2)-الرياحي كمال ، حوار مع الروائي الجزائري واسيني الأعرج، ص16.

(3)-رواينية الطاهر ، الخطاب الروائي المغاربي الجديد دراسة في سرديات آليات المحكي، (ط01)، الوسام العربي للنشر

والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2019 م، صص: 179، 180.

أسماء بعضها فجعل اسم زوجته "مريم" بدل اسمها الحقيقي "زينب"، ولم يصرح باسم الأديبة "أحلام مستغانمي" التي زارته في بيته وكتبت له رسالة اعتمدها في هذا العمل حسب تصريحه، فالشخصية التي زارته في منزله لتطمئن عليه كانت "إيماش" الطبيبة النفسية، ولا نجد مراسلات بينه وبين "إيماش" إذا ما اعتبرنا أنها هي "أحلام" لكننا نجد أن الرسائل كانت بينه وبين زوجته.

وهنا يمكننا رصد التشويهاً الحاصلة/ الألعاب الفنية، فما حصل بينه وبين أحلام من تراسل أخرجه من سياقه الواقعي ووظفه في سياق روائي متخيل، واستبدل اسم "أحلام" باسم "إيماش" وأضاف أحداثاً متخيلة إلى الزيارة وقام بنقل حادثة التراسل بينه وبين أحلام ليجعلها بينه وبين زوجته، فالأحداث الحقيقية تم التلاعب بها وتوزيعها وفق منظور المؤلف مع التعديل عليها وإضافة أحداث متخيلة لها، ومنه نستطيع القول أن المؤلف أعاد تشكيل الشخوص وغير بعض أسماء الشخصيات الحقيقية بما يتماشى مع تقنيات الكتابة الروائية ومع الغايات الفنية التي يقصد لها، وحافظ على بعض الأسماء الأخرى -كاسمه هو واسم ابنته ربما- ليزكنا بحضور المرجع الواقعي دوماً.

#### ثانياً: الفضاء المكاني:

حافظت الأمكنة على مسمياته الأصلية حيث نجد الكاتب يذكر لنا مدن وأحياء ومناطق جزائرية ك"باب الزوار، الحراش، وهران، الشلف، شارع شاراس، القصبة... وغيرها، إضافة إلى أسماء مقاهي وبارات ومسارح كلها واقعية ومطابقة للمرجع الحقيقي، في حين تصرف في الأحداث الواقعة في إطار هذه الأمكنة وزوج بين الواقعية والتخييل في عرضها.

#### ثالثاً: زمن السرد:

جاء زمن السرد زمناً استرجاعياً في معظمه وغلب عليه الاسترجاع الخارجي الذي يستدعي أحداثاً خارجة عن إطار الحكاية كحكاية العرافة التي تنبأت بميلاده «أبشرك سيكون صبياً جميلاً، يعشق حروف الله والكلمات وتربة الأولياء الصالحين. سمي باسمهم حتى لا يسرقوه منك مبكراً»<sup>(1)</sup>، وكذلك عندما يسترجع حكايته مع الضابط الفرنسي الذي يعطيه الشكولاتة، ويرد هذا الاسترجاع الخارجي أثناء سرده لقصة الشاب محمد الملقب بـ"جونى الصرار" والمتأثر بالثقافة الغربية وهجرته من القرية التي يُساء معاملته فيها «ينادونه جونى أو الصرار ويسمون والده الفقيه، النملة مقلدين معلم العربية الذي لم يكن يحبه يقول عنه دائماً: هذا ولد حرام. لازم أمه تكون يهودية وإلا رومية»<sup>(2)</sup>، ثم يسترجع في سياق سرده عن "جونى" عيد الاستقلال وتقاسم الضباط الوطنيين للغنائم ثم شيئاً من حياته في الفترة التي يستعد فيها الفرنسيون

(1)-الأعرج واسيني ، ذاكرة الماء، ص15.

(2)-المصدر نفسه، ص40.



للخروج من الوطن وتوزيعهم بعض الأغراض التي لا يحتاجونها على سكان قريته «في الصباحات الأولى من الأيام الموالية، كان الفرنسيون يملأون شاحناتهم ويغادرون، بينما البعض الآخر يحضر نفسه وينظف مكانه من كل الأدوات التي لا يحتاجها»<sup>(1)</sup>، ويدرج قصته مع الضابط الفرنسي الذي يعطيه الشكولاتة «من حين لآخر يرمون قطعة لا يحتاجونها، فيتقاتل الناس من وراء الوادي. وكنت كلما حاولت أن أحصل على إحدى القطع المرمية تدوسني كثرة الأرجل. فجأة أشر ضابط من وراء الوادي نحوي بإصبعه /.../ سألني عن اسمي. سني. ثم سلمني كيسا من الشكولاتة المطحونة»<sup>(2)</sup>، والرواية تعج بهذه الاسترجاعات الخارجية التي يسترجع فيها المؤلف قطعا من حياته وهي مؤشر قوي على البعد السيري ذاتي في هذا العمل.

أما الاسترجاعات الداخلية فقليلة جدا ونادرة وهي استرجاعات لأحداث تنتمي لإطار الرواية وهي لا تعدو أن تكون استرجاعين أو ثلاثة في كامل الرواية نذكر منها قصة بلوغ ريماء في الصفحة (148)، التي تم استرجاعها في الصفحة (306) والصفحة (307)، وكذلك استرجاع قصة صديقه يوسف الذي يُقتل، فهو يذكر قصته في مقدمة الرواية ثم يسترجعها في النهاية ليُفصّل في طريقة موته أكثر ويحكي الحكاية كاملة، وقد غلب على الرواية كما سبق وذكرنا الاسترجاع الخارجي الدال على البعد السيري ذاتي في العمل.

وبشأن الاستباقات فلا نجد لها حضورا كبيرا في هذه الرواية كونها تعتمد على الاسترجاع كتقنية أساسية وتحديد الاسترجاع الخارجي، لكن يمكننا أن نرصد شيئا من الاستباقات التي جاءت في شكل تصريح بالبرنامج اليومي الذي يخطط له الكاتب في كل من الصفحة (18) والصفحتين (208) و(209) «تأملت رزنامة البرنامج اليومي، المعلقة على الباب، البريد، المطبعة، المطعم، الجنازة. ثم العودة»<sup>(3)</sup>، ثم يتسلسل السرد وفق هذا البرنامج حيث يذهب للبريد ويسرد لنا ما يحصل معه هناك ثم يسرد انتقاله للمطبعة وسؤاله عن روايته، لينتقل بعدها إلى المطعم ويلتقي صديقه نادية، ويحضر بعدها جنازة يوسف ويعود، فإدراجه للبرنامج اليومي كان بمثابة استباق للأحداث جعلنا نعرف الخطوات التي ستمر بها الشخصية خلال سيرورة السرد، ونذكر نوعا آخر من الاستباق اعتمد من طرف المؤلف لكنه استباق قائمة على تخييب أفق المتلقي حيث يدرج في الصفحة (16) و(17) حلما حلم به، حلما بموته، ويجعلنا هذا الحلم وبمؤازرة من الأحداث الأخرى والسياق العام للرواية، يجعلنا نعتقد أن الشخصية الساردة ستموت

(1)-المصدر نفسه، ص44.

(2)-المصدر نفسه، ص44.

(3)-الأعرج واسيني ، ذاكرة الماء، ص18.

أو تتعرض لمكروه، ويُعزز هذا الحلم بحلم آخر رآته زميلته عنه، حيث رأت أنه يذبح، وكان هذا في الصفحة (221) مما يجعل القارئ يميل إلى التأكيد على موت الشخصية الرئيسية في النهاية. وبدعم هذا طريقة السرد الدرامية التي ينتهجها المؤلف، ففي نهاية الرواية يصف دخوله إلى مبنى العمارة التي يقيم فيها متجاوزا موعد حظر التجول على لسان الشخصية الرئيسية، ويرسم لنا جو فضاء الاغتيال عندما يصعد العمارة ويرى بقع دم على الدرج، ثم يدق الباب على فاطمة وابنته اللتان لا تجيبانه، ويسمع أصوات إغلاق الأبواب وصراخ زوجة جارهم على جاره الذي تأخر هو الآخر، يتأهب لحصول الأسوأ ويسمع وقعا لأقدام تصعد الدرج، ويستحضر القارئ مشهد اغتيال صديقه يوسف الذي تم في شقته في نفس الظروف تقريبا، ليخيب أفق الانتظار بعدها ونجد أن الأشخاص الذين يصعدون الدرج هما فاطمة صديقتها وابنته ربما وأن ما عاشه في تلك اللحظات كانت مجرد هلوسات فقط.

هذا الاستباق الذي أدرجه المؤلف في بداية الرواية -الصفحة (16)- وعززه بآخر-الصفحة (221)- استباق يتعلق بحبكة الرواية وتقنيات كتابتها فكل من الحلمين رغم أنهما يؤشران على موت الشخصية « رأيت أشياء كثيرة في الحلم، أشياء مخزنة داستني سيارة فمزقتني/.../ رأيت منشارا يقطعني مثل قطعة الخشب/.../ يا سيدي رأيتك في حلمي/.../قطعوا رأسك ثم وضعوه على الطاولة.»<sup>(1)</sup>، لكنهما يحلمان قرينة العودة إلى الحياة «استطعت أن أقوم مثل طفل متهور بعد أن جمعت نفسي، قطعة قطعة ثم قمت/.../بدأ رأسك يقهقه ثم مددت يدك وأخذته وأرجعته إلى مكانه وأنت تتكّ كعادتك»<sup>(2)</sup>، تتواشج هذه الاستباقات التي جاءت في شكل أحلام مع بعضها ومع الاسترجاع الخارجي المتعلق بقصة العرافة ومولد المؤلف السارد لتؤكد على نبوءة نجاة واسيني من الموت «سميه باسمهم حتى لا يسرقوه منك مبكرا. تصدقي كثيرا وإلا سيموت بالحديد»<sup>(3)</sup>، تحوم أحداث الرواية في إطار الموت والنبوءة والحلم ليخيب أفق المتلقي الذي يعتقد أن الشخصية الساردة ستموت في النهاية وتصدق نبوءة العرافة وقرائن الأحلام التي تحيل إلى عودته للحياة، وبهذا فإن التخيل الروائي يتعالق مع الواقعي السيري ذاتي ويستثمر المؤلف المتن الحكائي السيري ذاتي ليكتبه وفق تقنيات روائية مؤكدا على ازدواجية هذا الخطاب وهجنته.

#### رابعا: مفارقة الكتابة السردية:

يخضع هذا العمل لمفارقة الكتابة السردية فهو يجمع بين نمطي كتابة أحدهما واقعي والآخر تخيلي، يحضر المرجع الواقعي من خلال حضور أنماط كتابة ذات بعد توثيقي استعان بها المؤلف -

(1)-المصدر نفسه، ص-ص: 16-221.

(2)-المصدر نفسه، ص-ص: 16-221.

(3)-الأعرج واسيني، ذاكرة الماء، ص15.

أبعاد تاريخية واجتماعية ومقتطفات جرائد - هذه الأنماط تؤكد على المرجع المطابق للواقع وتعزز الميثاق السيري ذاتي لكنها في الوقت نفسه لا تعتبر اجترارا للواقع أو توثيقا له فالمؤلف لا يسعى لنقل الواقع وإعادة تصويره بقدر ما يسعى إلى إعادة إنتاج سيرته الذاتية ووضعها في سياق روائي يتيح قراءات عديدة ومتنوعة «ذاكرة الماء» هي الأقرب إلى السيرة الذاتية<sup>(1)</sup>، فالمؤلف يصرح بقربها إلى السيرة الذاتية دون أن تكون كذلك ويصرّ على الميثاق الروائي دون أن ينكر السيري ذاتي، ويدعم هذا ببعض الشواهد كمقتطفات الجرائد «لقد تم التعرف على أحد قائلتي المفكر بوخبزة مدير الدراسات الاستراتيجية. وكان قد جاءه قبل أيام يطلب منه المساعدة للحصول على عمل، ووعده الأستاذ بوخبزة على بذل مجهود خاص للحصول على عمل. جريدة الوطن (...) 199»<sup>(2)</sup>، وكذلك اعتماده على بناء اليوميات في كامل الرواية إذ نجد أوقاتا زمانية قبل كل مقطع يشير إلى الساعة أو إلى الإطار الزمني الذي ذكرت فيه الأحداث فتبدأ الرواية من الساعة الرابعة صباحا وتنتهي على الخامسة وثمان وخمسون دقيقة مساء.

فكل مقطع من هذه المقاطع يمثل لحظة زمانية بين اللحظتين المحددتين من طرف المؤلف، ونستطيع متابعة هذا التسلسل من خلال السرد ففي المقطع الخامس عشر والذي يمثل المقطع الأخير من الجزء الأول للرواية المعنون بـ"الوردة والسيف" يكون الوقت هو السادسة وسبع وأربعون دقيقة صباحا<sup>(3)</sup>؛ وهو موعد خروج الشخصية من المنزل بعد أن يسرد لنا جملة الأحداث في هذا المقطع، يعود ليواصل سيرورتها في المقطع الموالي الذي يمثل المقطع الأول من القسم الثاني من الرواية الذي عنوانه "الخطوات والأصوات" ويبدأ من الساعة السابعة وأربعين دقيقة صباحا<sup>(4)</sup>، وكأنه يدون يومياته أو يسجل وقائع يوم من حياته، لتكون كامل الرواية عبارة عن يوم واحد في وطنه يعكس فيه مدى الفضاة والألم الذي يعيشه الإنسان ويقضيه خلال يوم واحد في الجزائر.

فمقتطفات الجرائد وبناء اليوميات، واعتماده على مذكرات ابنته ربما "سلطان الرماد"<sup>(5)</sup> التي دونت فيها كثيرا من الحوادث في ذلك الوقت لحظة بلحظة، ساعده على استرجاع كثير من المواقف، كل هذا جاء كدعم للحقيقي المعرفي في المنتج السردية حسب ما تذهب إليه يمني العيد<sup>(6)</sup>، بمعنى أن هذه الرواية

(1)-الرياحي كمال، حوار مع الروائي الجزائري واسيني الأعرج، ص16.

(2)-الأعرج واسيني، ذاكرة الماء، ص21.

(3)-المصدر نفسه، ص189.

(4)-الأعرج واسيني، ذاكرة الماء، ص207.

(5)-المصدر نفسه، صص: 192، 193.

(6)- ينظر: يمني العيد، المتخيل وبنيتة الفنية، ص199.

تعتمد على السيرة الذاتية في متنها فهي كمادة حكاية في جُلّها سيرة ذاتية، لكنها كقالب وكشكل رواية، إنها سيرة ذاتية مكتوبة بتقنيات روائية ولا تعتمد على الأسس الفنية في كتابة السيرة الذاتية الأدبية، لكنها في الوقت ذاته تتسم بضمبابية كبيرة من ناحية التصنيف إذ لا يمكن إدراجها في أي من خانة السيرة الذاتية ولا في خانة الرواية، فالمؤلف يتلاعب بميثاق القراءة ويجعل الكفة متوازنة وهذا ما يجعل القارئ متذبذبا في تصنيفه لهذا العمل.

### المطلب الثالث: إشكالية التجنيس:

رواية أم سيرة ذاتية أم يوميات... أو بالأحرى رواية سير ذاتية أم سيرة ذاتية روائية أم رواية يوميات؟ يظل هذا السؤال يقض مضجع القارئ رغم أن المبدع قد حدد مسبقا العقد القرائي ونوع العمل الذي كتبه على أنه رواية، كما أنه يصرح إلى أنها أقرب إلى السيرة الذاتية كإشارة منه بأنها رواية تستثمر عناصر سير ذاتية، إن المؤلف لم يعتمد على سيرته الذاتية كاملة في هذا العمل ولم يعتمد عليها وحدها كمادة لروايته، ولكنه اعتمد على المادة التاريخية أيضا، تقارير بيئية، مقتطفات من الجرائد، مذكرات ابنته، وكذلك يومياته الخاصة... في هذا العمل وبالتالي يمكننا تصنيف هذا العمل المخائل على أنه رواية سير ذاتية، فقصده المؤلف هو كتابة رواية تصف معاناة الإنسان الذي يعيش في الجزائر خلال العشرية السوداء، تهدف لنقد الأوضاع المأساوية التي آلت لها البلاد خلال هذه الفترة ووظف شيئا من سيرته الذاتية لبلوغ هذا الهدف باعتباره معايشا لهذه الأحداث ولا يوجد أفضل من كتابة تجاربه للتعبير عن المعاناة التي مرّ بها الفرد الجزائري في تلك الحقبة.

فالعمل يحتوي تركيبا اجتماعيا وسياسيا خارجيا وأحداث أخرى بعيدة عن السيرة الذاتية، لكنها في الوقت ذاته تتمحور حول ذات المؤلف وتؤكد ضمنا على التطابق بينه وبين الشخصية الرئيسية والسارد، وهي بهذا تدفع القارئ إلى الشك والارتباك في تصنيفها، فهذا النوع من الروايات يدفع قارئه إلى أن يتلقى النص تلقيا مزدوجا يلتبس فيه التخيلي الروائي بالمرجعي السيرذاتي «فالرواية السير ذاتية ليست سيرة ذاتية إذ لا يتوافر فيها التطابق بين الراوي والشخصية والمؤلف تطابقا تاما صريحا كما هو الحال في السيرة الذاتية. والرواية السير ذاتية، مثلها مثل سائر ضروب الكتابة الروائية، منغرس في التخيل يستثمر مؤلفها المسافة السردية الفاصلة بين الراوي والشخصية والمؤلف لخلق عالم روائي واسع الآفاق متشابه الأبعاد ينحو إلى الاستقلال عن الواقع التاريخي المرجعي»<sup>(1)</sup>، وبالتالي فالتصنيف هنا يقع على عاتق القارئ والناقد المحلل وليس ملكا للمؤلف كما يذهب إلى هذا "بيار بيللو Pierre Pillu"، فالرواية

(1)-القاضي محمد وآخرون، معجم السرديات،(ط01)، دار محمد علي للنشر، تونس، 2010 م، ص219.

السيرة ذاتية بالنسبة له عبارة عن «ثمرة سوء تفاهم أبدي بين المؤلف والقارئ». إنها جنس روائي تخلقه القراءة لا الكتابة ويحدد هويته الأجناسية القارئ لا المؤلف. وهذا التحديد خاضع إلى حد كبير لقدرات القارئ وثقافته و"موسوعيته الشخصية" كما يقول "أمبرتو إيكو" (Umberto Eco, 1985)، وللظروف التي يتلقى فيها النص وللمفاهيم التي يحملها عن الواقع وعن الأدب والفن والتخييل والمرجع.<sup>(1)</sup> إن هذا التداخل الأجناسي وغموض الحدود الفاصلة التي تشوش على تصنيف العمل في خانة الواقعي أو في خانة التخيلي، من الخصائص التي تميز الرواية السيرة ذاتية وهو ما وجدناه في رواية "ذاكرة الماء"، لذلك فإن تصنيف هذا العمل سيكون ضمن النوع الهجين الذي يأتي بين نوع الرواية والسيرة الذاتية، تحديداً نصنفها كرواية "سيرة ذاتية" وليست سيرة ذاتية روائية، لأن مادتها ليست سيرة ذاتية خالصة ولأنها لم تكتب بنيتة السيرة الذاتية بقدر ما كتبت بنيتة الرواية، مستثمرة مادة السيرة الذاتية كما سبق ووضحنا، لذلك فإننا نضع هذا العمل في الرقعة الخضراء<sup>(2)</sup> حسب تصنيف "جورج ماي" ونصنفها كرواية سيرة ذاتية.

قد نقول أن هذا العمل رواية يوميات لأنه يقتصر على فترة مقدارها عامين من حياة المؤلف ويعتمد على يومياته كخطاب أساسي داخل هذه الرواية ولا يصور كامل حياته من الولادة إلى الشيخوخة كما تفعل السيرة الذاتية، لم لا؟ نرى أن هذه الرواية لا يمكن الجزم في تصنيفها فهي تستجيب لتصنيف رواية اليوميات أيضاً، لكن الأرجح والسليم تصنيفها على أنها رواية سيرة ذاتية لأن الكاتب ورغم تركيزه على الوقائع اليومية الحاصلة في فترة عامين من عيشه في رعب الإرهاب داخل الجزائر، إلا أنه يعود إلى ذكريات الطفولة وأحاديث المراهقة وسنوات الشباب أثناء استرجاعاته وهذا مؤشر سيرة ذاتية قوي لا يتوفر في اليوميات التي تقتصر على توثيق اللحظات اليومية فقط، إن هذا يجعلنا نتجاوز تصنيف هذه الرواية على أنها رواية يوميات رغم أنها تستجيب لهذا التصنيف ونضعها في خانة الرواية السيرة ذاتية.

إن رجوع الكاتب ليومياته المتمثلة في وثائق وقصاصات جرائد هنا وإعادة ترتيبه لها زمنياً مع إضافة ذكريات من الطفولة والمراهقة والشباب، وصهر كل شيء في بوتقة الرواية يجعل من هذه اليوميات سيرة ذاتية بالدرجة الأولى، ثم استثمار هذه المادة المحولة في حدود النوع الروائي جعل من العمل رواية سيرة ذاتية كما تذهب إلى هذا "بياترس ديدي **Beatrice dede**" «عندما يجعل المؤلف

(1)- المرجع نفسه، ص220.

(2)- الرقعة الخضراء حسب "ماي" هي الروايات السيرة ذاتية المكتوبة بضمير المتكلم ويتلاءم مع القص الارتجاعي كما يتلاءم مع الروايات التي تأتي في شكل يوميات، وكل هذه المواصفات تنطبق على رواية "ذاكرة الماء" فهي سرد استرجاعي بضمير المتكلم يوفر التوافق بين المؤلف والسارد والشخصية الرئيسية ويتلاءم مع قالب اليوميات الذي رأيناه في الرواية. بشأن التصنيف ينظر: ماي جورج، السيرة الذاتية، ص284.

اليوميات رواية يستمدّها من واقع حياته، يكون له حظ من الحرية كبير في التصرف في الأزمنة، وتضرب على ذلك أمثلة تبرز بوضوح أنها إنما تتحدث عن حالات/.../ يؤدي تداخل الحاضر والماضي فيها إلى انقلاب اليوميات أحيانا سيرة ذاتية<sup>(1)</sup>، إن مسألة التصنيف مسألة نسبية والأعمال السير ذاتية لا يمكن الإمساك بها من طرف قارّ، كون السيرة الذاتية جنسا خلاسيا استفاد من نوع المذكرات واليوميات وغيرها من الأنواع القريبة وضمها إليه لتكون مكونا من مكوناته الخطابية، لذلك فإننا لا نستغرب إذا وجدنا سيرة ذاتية أو رواية سير ذاتية أو سيرة ذاتية روائية تتكون من اليوميات أو المذكرات أو الرسائل يجعل من التصنيف متذبذبا ومرجع ذلك هجنة هذا النوع الذي يجمع عددا من الأنواع التي تتميز بمرونة حدودها كاليوميات والسيرة الذاتية والرواية والرسالة وهذا هو حال رواية "ذاكرة الماء".

#### الخاتمة:

1. ختاماً يمكننا التوصل إلى جملة من النتائج منها ما يلي:
2. إن تحديد مفهوم جامع مانع لكل من الرواية والسيرة الذاتية أمر في غاية الصعوبة نتيجة لحدائثة هذين النوعين وعدم استقرارهما على شكل واحد.
3. نستطيع وضع تعريف نسبي للرواية عن طريق استبعاد الأشكال الأخرى التي تختلف عنها كالشعر والملحمة والسيرة فنقول إن الرواية فن أدبي نثري سردي يعتمد جانبا من الخيال وإن كان يستند إلى وقائع حقيقية (مرجع حقيقي)، يتميز بالتنوع والتعدد في أبنيته السردية ومضامينه الحكائية وله طوله الخاص، لا يستقر على شكل واحد بل يتخذ لنفسه أشكالا مختلفة تختلف باختلاف مبدع العمل والبيئة الثقافية والاجتماعية المنتجة للنص، قادر على امتصاص خطابات مختلفة أدبية/لأدبية ويوظفها في متنه توظيفا جديدا.
4. عدم وجود اتفاق عام حول الحدود الرسمية المادية والشكلية للسيرة الذاتية وكذلك الكم الهائل من المدونات التي تصب في إطارها يعقدان عملية الوصول إلى تعريف كامل لها رغم هذا يمكننا أن نقارب مفهومها عن طريق التركيز على الخصائص المشتركة بين المدونات التي تحمل وسم السيرة الذاتية واستبعاد الأنواع التي تبتعد عن هذه الخصائص فنقول إن السيرة الذاتية سردي نثري لحياة

(1)-ماي جورج، السيرة الذاتية، ص233.

شخص ما مكتوبة من طرفه هو، يستحضر فيها ذكريات من الماضي وقد تتسرب قطع من هذه الحياة وتلبس لبوس أنواع أدبية أخرى، عندها تكون هذه الأعمال الأدبية ذات خصائص سير ذاتية (قصيدة سير ذاتية، قصة سيرة ذاتية...).

5. نستطيع تحديد التعالق القائم بين الرواية والسيرة الذاتية استنادا إلى مرونة الحدود الفاصلة بين النوعين وقدرة كلا منهما على توظيف خطابات أخرى داخل المتن الحكائي، فهذين النوعين يشتركان في كثير من الخصائص المتشابهة (سرد، نثر، عدم الاستقرار على شكل واحد، مرونة الحدود وعدم الوضوح...)، ويختلفان تقريبا في المرجعية فالأولى تظهر في لبوس الخيال وتعتمده لنسج الأحداث -أو تعتمد قدرا منه على الأقل- والثانية تظهر في لبوس الحقيقة وتستند على الواقع وعلى الأحداث الحقيقية، بالتالي فهما يقتربان من بعضهما ويتماهيان معا ويستغل أحدهما الآخر ليولدا نوعا هجيناً يجمع بين الرواية والسيرة الذاتية.

6. يأتي هذا النوع الهجين في شكلين فهو إما رواية تستفيد من مادة السيرة الذاتية، ونطلق على هذا النوع مسمى الرواية السير ذاتية فهي لا تعتمد على السيرة الذاتية وحدها كمادة أساسية في بناء خطابها ولكنها تستعين بأنواع أخرى وتميل إلى التخيل على حساب الواقعية، والشكل الثاني هو السيرة الذاتية الروائية وهو سيرة ذاتية مكتوبة في قالب روائي وهذا الشكل يعتمد السيرة الذاتية كمادة أساسية وهو يقصد إلى عرضها في شكل الرواية وتكون الواقعية غالبية على التخيل في هذا النوع.

7. تنتمي رواية "ذاكرة الماء" إلى الكتابات السير ذاتية فهي تعرض تفاصيل من حياة المؤلف ورغم أن كاتبها وسمها بوسم الرواية، إلا أننا وجدنا العديد من القرائن التي تحيل إلى مرجعية هذا العمل السير ذاتية كالعنوان والتصدير الذي كتبه المؤلف في بداية الرواية، وكذلك التصريح الذي صرح به بأن ذاكرة الماء أقرب إلى السيرة الذاتية.

8. ذاكرة الماء نوع هجين يجمع بين الرواية والسيرة الذاتية اعتمد فيه المؤلف على التلاعب بالحدود الفاصلة بين الأنواع الأدبية-ألعاب فنية- فجدده يصرح بالميثاق الروائي ويخفي الميثاق السير ذاتي ثم يعمد إلى التصريح بالميثاق السير ذاتي ليدخل القارئ في حالة من الحيرة والشك بشأن تصنيف هذا النوع.

9. نستطيع حصر المؤشرات التي تؤكد على أن هذه الرواية تتداخل مع السيرة الذاتية في التطابق بين المؤلف والسارد والشخصية الرئيسية، حضور البعد التراسلي السير ذاتي في العمل الذي يصور ملامح كثيرة من حياة المبدع في فترة معينة، سرد الحياة الشخصية وفيه نجد تطابق بين شخصيات الرواية وبين أشخاص حقيقيين كابنة المؤلف ربما، الفضاء المكاني الذي تدور فيه الأحداث حقيقي ومطابق للواقع، زمن السرد زمن استرجاعي غلب عليه الاسترجاع الخارجي وهذا يحيل إلى السيرة الذاتية، دعم الحقيقة المعرفية في المنتج السردية بواسطة التوثيق والاستعانة بقصاصات الجرائد، ومذكرات ابنته ربما، وكذلك اعتماده على نمط كتابة اليوميات في سرد الأحداث.

10. ذاكرة الماء رواية سير ذاتية فالمؤلف تلاعب بأحداث سيرته الذاتية وغيرها (زيارة أحلام له/ زيارة إيماش، مراسلة أحلام/ مراسلة زوجته مريم)، وتوسع في الأحداث وأضاف لها بعدا تخيليا ودراميا كالأحلام التي يتنبأ فيها بموته لكنها تحمل قرائن عودته إلى الحياة...، لتكون أنوية بنوية مسؤولة عن تحديد نهاية الرواية.

#### بناءً على هذه النتائج نقترح جملة من المقترحات كالاتي:

1. مراعاة الدقة العلمية في تقصي المفاهيم المتعلقة بالرواية والسيرة الذاتية ومحاولة الابتعاد عن التعميمات والتضليلات التي من الممكن أن تثقل كاهل الدراسات والبحوث
2. إجراء دراسات نوعية تعالج قضية الأنواع السردية وتعالقتها خصوصا الرواية والسيرة الذاتية إذ تعالت صيحات تقييد بموت الرواية واستنفادها لكل إمكاناتها لتتيح المجال أمام السيرة الذاتية كنوع يخلفها، وإن كانت مثل هذه الإدعاءات مبكرة نوعا ما وغير مؤسس لها نقديا لكن قصية بلوغ نوع أدبي لحدوده الكاملة واستنفاده لكل إمكاناته قضية واردة في مجال الدراسات الأدبية والنقدية والالتفات لهذه النقطة أمر مهم.
3. تسليط الضوء على المدونات الروائية الجزائرية التي تستثمر السيرة الذاتية في بنائها السردية حيث نجد أن الاهتمام بهذا الجانب منخفض نسبيا مقارنة بجوانب آخر (كتوظيف التاريخ في الرواية، استحضار التراث، الأنساق الثقافية...).



### قائمة المصادر والمراجع:

#### أولاً: الكتب العربية:

1. الأعرج واسيني، ذاكرة الماء محنة الجنون العاري، (ط04)، ورد للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، 2008.
2. بدوي عثمان، وظيفة النص من بنية المعنى إلى سيميائية الدال، (ط01)، الدار العربية للعلوم، الجزائر، 2007 م.
3. رواينية الطاهر، الخطاب الروائي المغاربي الجديد دراسة في سرديات آليات المحكي، (ط01)، الوسام العربي للنشر والتوزيع، عنابة، الجزائر، 2019 م.
4. عبيد صابر محمد، التشكيل السيرذاتي التجربة والكتابة، (د،ط)، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، (د،ت).
5. العيد يمى، الرواية العربية المتخيل وبنيتها الفنية، (ط01)، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 2011 م.
6. القاضي محمد وآخرون، معجم السرديات، (ط01)، دار محمد علي للنشر، تونس، 2010 م.
7. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (ط04)، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004 م.
8. مرتاض عبد الملك، في نظرية الرواية بحث في تقنيات السرد (د.ط)، عالم المعرفة، الكويت، 1998 م.
9. المناصرة حسين، وهج السرد مقاربات في الخطاب السردى السعودى، (ط01)، عالم الكتب الحديثة، إربد، الأردن.

#### ثانياً: الكتب المترجمة:

1. شارتييه بيير، مدخل إلى نظريات الرواية، تر: عبد الكبير الشرفاوي، (ط01)، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 2001 م.
2. لوجون فيليب، السيرة الذاتية الميثاق والتاريخ الأدبي، تر وتق: عمر حلي، (ط01)، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1994 م.
3. ماي جورج، السيرة الذاتية، تر: محمد القاضي وعبد الله صولة، (ط02)، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 2017 م.

#### ثالثاً: المقالات:

1. الرياحي كمال، حوار مع الروائي الجزائري واسيني الأعرج، مجلة عمان، ع 96، حزيران 2003 م.

2. فريمان مارك وبروكميرر جينز، التكامل السردي الهوية في السيرة الذاتية ومعنى الحياة الطيبة، مجلة فصول، ع 87-88، سنة 2013-2014 م.

رابعاً: الكتب الأجنبية:

1. Serge Bokobza, Contribution à la titrologie romanesque: variations sur le titre Le Rouge et le Noir, Librairie Droz, Genève, (1986).
2. Gerard Genette, « Palimpsestes », la littérature au second degré, édition du seuil, paris, 1982.
3. Wayne Shumaker, English Autobiography Its Emergence Materials And Form, UNIVERSITY OF CALIFORNIA PRESS BERKELEY AND LOS ANGELES, 1954.
4. Georg Misch, A History of Autobiography in Antiquity, part 1, 1st Edition Published in 1950, reprinted by Routledge in 1998 and 2002.

